

محاضرات وندوات مصورة - قطر - مختلفة - محاضرة في مدينة الدوحة - مسجد روضة بنت شعيلى ، مؤسسة راف : العلم محراب الإيمان - القوة الإدراكية يتميز فيها الانسان .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٩-٠٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

ضرورة طلب العلم و البحث عن الحقيقة :

أيها الأخوة الأكارم؛ بادئ ذي بدء، الإنسان هو عند الله المخلوق الأول، هناك جماد شيء مادي له وزن، وله حجم، وله أبعاد ثلاثة، هناك نبات شيء مادي له وزن، وله حجم، وله أبعاد ثلاثة، إلا أنه يمتاز عن الجماد أنه ينمو، الحيوان شيء مادي له وزن، وله حجم، وله أبعاد ثلاثة، ويشغل حيزاً في الفراغ لكنه يتحرك، يوجد جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، الإنسان شيء مادي له وزن، وحجم، وأبعاد ثلاثة، والإنسان ينمو كما ينمو النبات، ويتحرك كما تتحرك بعض الحيوانات إلا أنه يفكر، أودع الله في الإنسان قوة إدراكية، هذه القوة الإدراكية يتميز فيها عن بقية المخلوقات. لذلك أول كلمة في أول آية في أول سورة أنزلت في القرآن الكريم:

﴿ اقرأ ﴾

[سورة العلق: ١]

ابحث عن الحقيقة، اطلب العلم، والإنسان ما لم يطلب العلم، أو ما لم يلبّ الحاجة العليا فيه، هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به، استمعوا إلى وصف الله عز وجل إلى هذا الذي أعرض عن طلب العلم، قال تعالى:

﴿ أمواتٌ غيرُ أحياءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

وصف خالق الأكوان، بين أن الحياة حياة المعرفة:

﴿ أمواتٌ غيرُ أحياءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

وقال تعالى:

﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾

[سورة الفرقان: ٤٤]

الأنعام غير مكلفة ولا تحاسب، فإذا شخص شابه الأنعام وسيحاسب:

﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان: ٤٤]

وصف ثان، قال تعالى:

﴿ كَانَهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدَةٌ ﴾

[سورة المنافقون: ٤]

وصف أبلغ، قال تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

[سورة الجمعة: ٥]

إذاً لابد من طلب العلم، لا بد من تلبية الحاجة العليا فينا، لا بد أن تبحث عن الحقيقة، لا بد أن تعرف لماذا أنت في الدنيا؟ من الذي خلقك؟ ولماذا خلقك؟ ما الموت؟ وماذا بعد الموت؟ هذه كليات الحياة.

لذلك قالوا: ما كل ذكي بعقل، قد تحمل دكتوراه في الفيزياء النووية، ولأنك لا تعرف الله، ولأنك لا تصلي، ولم تدخل الدين العظيم في حساباتك فأنت لست عاقلاً لكنك ذكي، فما كل ذكي بعقل، ذكي بالجزئيات، أما عاقل بالكليات.

النتاج العقلي والشعوري للبشرية جمعاء علم وفلسفة وفن :

لذلك أخواننا الكرام؛ هذا الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، العلم هواء نتنفسه فإن لم نتنفس الهواء كانت البلية:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

أيها الأخوة؛ هناك مصطلح دقيق، النتاج العقلي والشعوري للبشرية جمعاء، أبواب ثلاثة، علم وفلسفة وفن فقط.

العلم هدفه القانون، والقانون علاقة بين متغيرين مقطوع بها، علاقة الحرارة بالتمدد توجد علاقة ثابتة مقطوع بها، إذا لم نترك فواصل للتمدد البناء يتصدع، إذا ما تركنا فواصل تمدد في سكة القطار توجد عندنا مشكلة ينحني، يوجد قانون.

فالنتاج العقلي والشعوري للبشرية علم وفلسفة وفن، العلم ماهو كائن - الموجود-يوجد لدينا ظاهرة علمية، ظاهرة فيزيائية، ظاهرة كيميائية، ظاهرة جيولوجية، ظاهرة فلكية، هذه الظواهر علاقتها ببعض تحكمها القانون، علاقة بين متغيرين تطابق الواقع عليها دليل.

أما الفلسفة فلا تعنى بما هو كائن، تعنى بما هو يجب أن يكون، علم ماهية كائن، الفلسفة ما يجب أن يكون. فلسفة الوجود، وجود الله عز وجل، وفلسفة المعرفة، وفلسفة القيم، وجود، معرفة، قيم. الفن ما هو ممتع، لمن؟ ما كل فن ممتع، إذاً ليس فناً، وما كل ممتع نافع، ينبغي أن يكون ممتعاً ونافعاً، وما كل ممتع ونافع مسعد، الفن ما هو ممتع، ينبغي أن يكون نافعاً وينبغي أن يكون مسعداً.

صار النتاج العقلي والشعوري للبشرية علم وفلسفة وفن، لكن قالوا في الفن: يجوز لكاتب المسرحية أو للشاعر أن يصف الرذيلة على نحو نشمئز منها، نحتقرها، فإذا صورت الرذيلة على نحو نعجب بها، كما هو واقع الآن، فإن مجتمع بأكمله يسقط، الرذيلة لا بد من تصورها.

الله عز وجل في القرآن ذكر أهل الكفر وعقليتهم وسلوكهم ولكن على نحو نشمئز منها، أما إذا صورت الرذيلة على نحو نعجب بها فإن مجتمعاً بأكمله سيدمر، وهذه أكبر خطر، قال العلماء والنقاد: إذا قرأت قصيدة أو قصة أو مسرحية وشعرت أنها حركت فيك المشاعر الدنيا، والتفكير السمج، فأنت أمام فن رخيص، وما لم يكافح الفن الرخيص فإن مجتمعاً بأكمله يسقط، أربعة أخماس وقت الناس مع الفن، تمثيلية، مسرحية، حوار، قصيدة شعرية، فحسبما تحرك هذه الفنون التفكير السخيف أو المشاعر الدنيا، فإن مجتمعاً بأكمله يسقط.

الفرق بين الفلاح و النجاح :

أخواننا الكرام، الآن لا يغيب عن ذهنكم أن الحياة جماد، نبات، حيوان، إنسان، أما الإنسان فهو المخلوق الأول، لماذا؟ يوجد عندنا عالم الأزل هو عالم الذر، ويوجد عندنا عالم الصور الدنيا، هناك عالم الأزل وجميع المخلوقات خلقوا مرة واحدة في عالم الأزل، والشاهد قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانَ ﴿

[سورة الأحزاب: ٧٢]

الإنسان قبل حمل الأمانة، ما الأمانة؟ أن يدير نفسه، هذه الأمانة هي نفسه، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿

[سورة الشمس: ٩-١٠]

هل هناك فرق بين النجاح والفلاح؟ نعم والفرق كبير جداً، النجاح أن تتجح في جمع المال، إنسان يملك تسعين ملياراً هذا ناجح في جمع المال، هتلر حكم أوربا، هناك إنسان ناجح في جمع المال، أو تسلم منصب رفيع، أو في أن يغرق في الملذات الحسية، لكن الفلاح أن تحقق الهدف الذي خلقت من أجله، قال تعالى:

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿

[سورة البقرة: ٥]

الفلاح في تحقيق الهدف، شخص أرسل ولده إلى باريس، لينال الدكتوراه من السوربون، نجح في استئجار بيت مريح، نجح في اقتناء سيارة، نجح في اختيار أصدقاء مبدعين، لكنه لم يدرس، هدفه وهدف والده من هذه البعثة نيل الدكتوراه، فقد ينجح في مئات الأشياء أما إذا لم ينل الدكتوراه فلا يعد فالحاً. قال تعالى:

﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة البقرة: ١-٥]

فالبطولة أن تفلح لا أن تنجح، يوجد في العالم الغربي ملك الحديد، وملك المعادن الثمينة أكبر إنتاج، هذه كلها نجاحات في الدنيا، والله عز وجل قال:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[سورة الروم: ٧]

والإنسان إذا انتهى أجله كأنه ينادى: أن عبدي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

الإِنسان هو المخلوق الأول والمكرم والمكلف :

أخواننا الكرام؛ الإنسان مرة ثانية هو المخلوق الأول والمكرم والمكلف، لماذا كلف؟ قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات: ٥٦]

مكلف أن يعبد الله، والعبادة في أدق تعريفها طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، كما أنه ما عبده من أحبه ولم يطعه، طاعة طوعية، ما أردنا أن نأتيه إكراهاً، قال:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٦]

أراد أن نأتيه طوعاً، أراد أن نأتيه بمبادرة منا، أراد أن تكون علاقته بعباده علاقة حب، قال:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[سورة المائدة: ٥٤]

ما أراد أن تكون علاقتنا به علاقة إكراه:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٦]

الإله العظيم أراد أن تكون علاقتك به علاقة حب ليس غير:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[سورة المائدة: ٥٤]

محبة الإنسان للكمال و الجمال و النوال :

الإنسان عندما يتناول طعاماً طيباً لماذا يستمتع به؟ عند البلع اللسان يضغط على اللقمة في سقف الحلق، هناك توجد أعصاب الذوق، ثوان أحياناً تقف أمام بحر هادئ، مياه زرقاء، يحيط بالبحر جبال صفراء، منظر جميل جداً يأخذ بالألباب، إذاً يوجد لدينا جمال في الطبيعة، يوجد عندنا منظر جميل، طعام طيب، فاكهة رائعة، طفل جميل، والجمال الله عز وجل هو الجميل، تجلى على هذا المخلوق باسم الجميل، قال تعالى:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾

[سورة طه: ٣٩]

لذلك هذا الذي يؤخذ بالجمال، وكل إنسان كائن من كان يحب الجمال والكمال والنوال، لكن هذا الجمال لو افترضنا مئة وثمانين درجة، الله سمح لك بمئة، أو بثمانين، أو بمئة وعشرين درجة، الزوجة لك أن تملأ عينيك من محاسنها، أما المحارم فلهم قيود أخرى، ثياب الخدمة، أمه، أخته، خالته، عمته، نصف كم، قبة عالية، تحت الركبة، هذه ثياب الخدمة، الزوجة لها حكم، والمحارم لهم حكم آخر، امرأة أجنبية لا بد من أن تغض البصر، لا بد من غض البصر لأنها لا تحل، فالشهوة هذه مئة وثمانون درجة، سمح لك بمئة وعشرين درجة، لا يوجد حرمان، والدليل قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

معنى ذلك الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه، أي لك أن تأكل ما لذ وطاب، وتسكن في بيت، وتختار زوجة وفق طموحك، وتتجب أولاداً، كل هذا مسموح لك لا شيء فيه:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

المعنى المخالف عند علماء الأصول: الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه، أي لا يوجد فيه شيء من الحرمان.

لذلك ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري فيها، لا يوجد حرمان هنا.

حرص الإنسان على سلامة وكمال واستمرار وجوده :

لذلك أخواننا الكرام؛ البطولة بطولة اختيار فقط، أهل النار ما سبب دخولهم النار؟ اسمعوا كلامهم:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك: ١٠]

أزمة علم فقط، لماذا؟ لأن أي إنسان على وجه الأرض كائناً من كان حريص حرصاً لا حدود له على سلامة وجوده، من يحب المرض؟! من يحب الفقر؟! من يحب القهر؟! حريص على سلامة وجوده، وعلى كمال وجوده، من لا يحب أن تكون زوجته كما تروق له؟ ويكون بيته واسعاً ودخله

جيداً واستمرار وجوده؟ يتمنى أن يعيش ألف سنة، ليس ألف سنة بل مئة، أو مئة وثلاثين، فإذا مات في الخامسة والثلاثين مصيبة، لذلك يحب سلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده، إذا علمت يقيناً أن سلامة وجودك وكمال وجودك واستمرار وجودك في طاعة الله:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٧١]

للتقريب، لو زرت أختك الكريمة في العيد وقال لك ابن أختك: أنا معي مبلغ عظيم، هذا الذي عمره خمس أو سبع سنوات وقال لك: أنا معي مبلغ عظيم كم تقدره؟ مئة ريال، فإذا قال مسؤول في البنتاغون: نحن أعددنا للعراق مبلغاً عظيماً، كلفت خمسمئة مليار، إذا قال مسؤول في البنتاغون أي خمسمئة مليار، وإذا قال ابن أختك: مبلغ عظيم يعيني مئة ريال، وإذا قال مالك الملوك:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[سورة الأحزاب: ٧١]

وقال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١١٣]

عظيماً، طفل تقدر بشيء، ومسؤول في البنتاغون تقدر بشيء، وخالق الأكوان تقدر بشيء:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١١٣]

لذلك يوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون، الله ماذا قال قبل ذلك:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة الكهف: ٤٦]

تصور مالاً بدون بنين صعب جداً، تصور بنين من دون مال أصعب، أما المال والبنون فزينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات، العلماء قالوا: الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أن تسبحه وأن تحمده وأن توحده وأن تكبره، هذه أبلغ من جميع النعم، أن تعرفه، يا بن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتنني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. لذلك أيها الأخوة؛

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء: ١١٣]

تعريف القلب السليم :

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء: ٨٨-٨٩]

ما هو القلب السليم؟ من أجمل ما قرأته عن القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، يشتهي الزواج يتزوج، هذا حلال، يشتهي أن يكون له عمل جيد، ودخل جيد، وصحته جيدة، القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يصدق خيراً يتناقض مع وحي الله. إذاً القلب السليم، القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يصدق خيراً يتناقض مع وحي الله، ولا يعبد إلا الله.

العلم أنواع ثلاثة :

لذلك العلم وهو عنوان هذا اللقاء الطيب، العلم محراب الإيمان، أنواع ثلاثة: علم بخلقه؛ فيزياء، كيمياء، فلك، جيولوجيا، علم نفس، علم اجتماع، علم تنمية، علم بخلقه، وعلم بأمره، الشريعة، الحلال والحرام، والواجب، والسنة المؤكدة وغير المؤكدة، والمباح، والمكروه... علوم الدين كثيرة جداً، فعلم بأمره، وعلم بخلقه، وعلم به، هذه أحد المجالات، العلم بخلقه يحتاج إلى مدارس، تدخل جامعة، يوجد دكتور، ومنهج، ودوام، وإصغاء إلى المدرس، وكتابة وظيفة، و مناقشة، وقد يكون هناك امتحان شفوي أو كتابي هذه اسمها مدارس، فالعلم بخلقه يحتاج إلى مدارس. والعلم بأمره يحتاج إلى مدارس.

أما العلم به، فهذا الشيء النتائج باهرة جداً لكن الثمن باهظ، جاهد تشاهد، العلم به يحتاج إلى مجاهدة، جاهد تشاهد، لذلك قيل: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى. جاهد تشاهد.

علم بخلقه، اختصاصه الجامعات في العالم، وعلم بأمره اختصاصه الريادة في الشريعة، وعلم به هذا الوصول إلى الله.

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبتنا فإننا منحنا بالرضا من أحبنا
ولذ بحمانا واحتم بجنابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقتنا
وعن ذكرنا لا يشغلناك شاغل وأخلص لنا تلقى المسرة والهنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
فيا خجلي منه إذا هو قال لي أيا عبدنا ما قرأت كتابنا
أما تستحي منا ويكفيك ما جرى أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا
أما أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جاء وعدنا
فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا
فلو شاهدت عينك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحي قتيلاً بحبنا

ولو نسمت من قرينا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقرينا
فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلتنا
فأيسر مافي الحب للصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

لذلك أيها الأخوة؛ نستنتج إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة عن الدنيا فيريحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا عن الآخرة فيخسرهما معاً.

طلب العلم فرض عين على كل إنسان :

لذلك العلم الشرعي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**))

[أخرجه ابن ماجه]

شرح الحديث قالوا: على كل شخص مسلم، أي العلم ليست وردة توضع على الصدر، العلم هواء نستنشقه، حاجة أساسية.

الآن لتقريب الفكرة، متى تعالج نفسك لا سمح الله من ارتفاع الضغط؟ حينما تعلم، فالضغط المرتفع يحتاج إلى مقياس، إذا أنت بحاجة إلى مقياس تقيس بها دخلك، إنفاقك، اختيار زوجتك، تربية أولادك، يوجد لديك مليون سؤال، فإذا الإنسان ما طلب العلم سيغرق، سيدفع ثمن خطئه باهظاً، أي ليست قضية ثانوية تكون أو لا تكون، قضية مصيرية.

شخص ينجح من السابع للثامن، من الثامن للتاسع، من التاسع للعاشر، من العاشر للحادي عشر، من الحادي عشر إلى الثاني عشر، علامته في الثاني عشر تحدد مصيره، يوجد لدينا طب، ويوجد لدينا طب، يوجد لدينا فرع ثمين جداً من يحمل هذه الإجازة، دخله كبير، وهناك خمسة آلاف شخص بلا عمل، معه حقوق مثلاً، ليس كل فرع يدر عليه أرباحاً كثيرة فلا بد من أن تتفوق.

لذلك ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، الوضوء فرض؟ الوضوء ليس صلاة لكن الوضوء فرض، لأن الصلاة وهي فرض لا تتم إلا به.

لا تعرف الحقيقة إلا بالعلم، المعرفة حتمية وضرورية وفرض، إذا لا بد من طلب العلم.

الآن تلقيت العلم، عندنا شيء دقيق، أي من يعتقد يقيناً أن الدعوة إلى الله فرض عين، قد تستغربون فرض عين، الدليل:

﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

فالذي لا يدعو إلى الله قطعاً ليس متبعاً لرسول الله، الدعوة إلى الله فرض عين، فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف، اللقاء الطيب يوجد نقطة فيه تأثرت بها، انتهى اللقاء، ذهبت إلى البيت، جلست مع زوجتك، قل لها هذه النقطة، الآن دعوة إلى الله، فكرة فهمتها من خطيب مسجد، قرأتها في كتاب، سمعتها من عالم تأثرت بها، قلها لأخيك، لزميلك، لشريكك في العمل، هذه الدعوة فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف، هذه دليل قطعي قرآن،

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

أركان النجاة :

الآن انتقلنا من التلقي إلى الإلقاء، من تلقي العلم إلى التعليم، الدعوة إلى الله فرض عين كل مسلم في حدود ما تعلم ومع من تعرف، النبي قال:

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

[البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

يوجد دليل ثان قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا

بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

أربعة أشياء قال عنها الإمام الشافعي: أركان النجاة، أحد أركان النجاة وتواصوا بالحق، هذه الدعوة إلى الله فرض عين قال:

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

[البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

وقال:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

نقل المعرفة فرض عين على كل إنسان :

إذاً عود نفسك، إذا سمعت تفسير آية، تأثرت فيها، اكتبها عندك، أول لقاء مع صديقك، مع أهلك، مع والدك، مع والدتك، أثناء الطعام، مع أصدقائك بسهرة معينة، احكها، عود نفسك أن تذكر الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((**أَمْرِي رَبِّي بِتَسْنَعٍ: خَشْيَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَكَلِمَةِ الْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى، وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا، وَتُنْطَقِي ذِكْرًا، وَنَظْرِي عِبْرَةً، وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ**))

[ساقه القرطبي في تفسيره بصيغة التمرريض]

عود نفسك أن تتكلم بالحق دائماً، والذي سمعته احفظه، اكتبه عندك، توجد قاعدة لطيفة: اكتب أجمل ما قرأت، واحفظ أجمل ما كتبت، دفتر صغير، أحياناً الإنسان ينتهي بكلمة،

((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بِأَسَا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

إن الرجل يلقي كلمة ترضي الله تعالى، يرفعها الله بها لأعلى عليين، كلمة! وكم من إنسان بكلمة انتهى. إذاً نقل المعرفة فرض عين، ويوجد أدلة ثلاثة، قال تعالى:

﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ** ﴾

[سورة العصر: ٣]

قال تعالى:

﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي** ﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**))

[البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

في حدود ما تعلم ومع من تعرف.

الآن يوجد لدينا مصطلح عند العلماء، العلم الذي ينبغي أن يعلم بالضرورة. مظلي، ألقى بنفسه من الطائرة، يا ترى شكل المظلة لو فتحت مستطيلة أم بيضوية أم دائرية أم مربعة؟ المظلي يجهل شكل المظلة قبل أن يفتحها، يا ترى خيط المظلة صناعي أم طبيعي؟ كم حبل؟ لا يعرف، نوع الحبال؟ لا يعرف شكلها، ولا نوع حبالها، معلومة واحدة إن جهلها نزل ميتاً، طريقة فتحها، هذا العلم سماه العلماء: ما ينبغي أن يعلم بالضرورة، طريقة فتح الظلة.

فأنت ليس كل معلومة مطلوبة منك، كطبيب، كحام، كمدرس، العلم الذي ينبغي أن يعلم بالضرورة، أي أركان الإيمان، أركان الإسلام، الأحكام الفقهية المتعلقة باختصاصك فقط، هذا العلم لا بد منه بالحد الأدنى، ينبغي أن يعلم بالضرورة، أما التعمق والتبحر والتفرغ فهذا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، أي عنده إمكان أن يجيب عن أي سؤال، وبزيل أي شبهة، هذا فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، الآية تقول:

﴿ **وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ** ﴾

[سورة آل عمران: ١٠٤]

منكم أي بعضكم،

﴿ **وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾

مقومات التكليف :

أخواننا الكرام؛ الآن الله عز وجل قال:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٦]

يوجد آيات كونية، آيات تكوينية، آيات قرآنية، الكونية، مثال، الشمس تبكر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، أي يدخل في جوفها مليون وثلاثمائة ألف أرض، بينهما مئة وستة وخمسون مليون كليو متر، يوجد في برج العقرب نجم صغير اسمه قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، هذا الإله العظيم يعصى؟ هذه الآيات الكونية.

الآيات التكوينية أفعاله، والقرآنية كلامه، قال تعالى:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٦]

فالكون الثابت الأول، والعقل له مبادئ، مبدأ السببية، مبدأ الغائية، مبدأ عدم التناقض، والعقل أيضاً في خدمة النقل، وأعطاه شهوة، لولا الشهوات ما ارتقينا إلى رب الأرض والسموات، أعطاك حرية، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾

[سورة الكهف: ٢٩]

هذه مقومات التكليف.

مراحل تعامل الله مع عباده :

يوجد لدينا هدى بياني، أنت جالس مرتاح تسمع محاضرة هذا هدى بياني، يجب أن تستجيب، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

لم تستجب يوجد تأديب تربوي:

﴿ وَلَنَذِقَنَّهْم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

لم تنتب إكرام استدراجي:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]

فالهدى البياني استجابة، والتأديب التربوي توبة، والإكرام الاستدراجي شكر، لم يستجب ولم ينتب ولم يشكر، إذا يوجد القصم.

لذلك أيتها الأخوة الكرام الموضوع خطير، الموضوع مصيري، الموضوع حياة أو موت، سعادة أو بقاء. أرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ إيمانكم جميعاً، وأهلكم وأولادكم، وصحتكم ومالكم، واستقرار بلادكم.

والحمد لله رب العالمين